ركائز مضيئة

في

طريق طلب العلم

تأليف

أ. د. بندر بن نافع العبدلي

أستاذ السنة وعلومها

جامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ركائز مضيئة
في
طريق طلب العلم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد

فقد كنت ألقيت قبل فترة محاضرة بعنوان «**ركائز مضيئة في طريق طلب العلم**» ضمن الدورات العلمية التي يقيمها مركز النخب العلمية بجامع الراجحي في بريدة.

ثم رأيت إخراجها ليعم النفع بها.

وهذه الركائز هي عبارة عن آداب مهمة لطالب العلم يتوِّج بها علمه ويرتفع له بها ذكره، إذ أن العلم بلا أدب لا يثمر لصاحبه، وقد نُقل عن غير واحد من السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ قولهم: «تعلموا الأدب قبل العلم» وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانوا يطلبون الأدب قبل العلم»

وقد قيل:

ولا تحسبن العلم ينفع وحده إذا لم يتوِّج ربه بخلاق

ولأهمية هذا الباب صنف فيه بعض الأئمة من المتقدمين والمتأخرين مصنفات.

ومن أجمع هذه الكتب:

كتاب: «**تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**» لابن جماعة ت (٧٣٣هـ).

وكتاب: «**جامع بيان العلم وفضله**» لابن عبد البر ت (٤٦٣هـ).

وكتاب: «**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**» للخطيب البغدادي ت (٤٦٣هـ).

و«**مقدمة المجموع**» للحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع شرح شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكتاب: «**حلية طالب العلم**» للشيخ بكر أبوزيد ت (١٤٢٩هـ)، وشرحها شيخنا ابن عثيمين شرحًا وافيًا كافيًا.

ورسالة: «**المنهجية في طلب العلم**» لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله.

و«**معالم في طريق طلب العلم**» للشيخ عبد العزيز السدحان حفظه الله وغيرها كثير.

ومشاركة مني لهؤلاء المشايخ الأفاضل رأيت إخراج هذه الركائز، سائلًا المولى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بها وأن يجعلها في موازين الحسنات إنه جواد كريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ضحى يوم السبت ١٦/ ١٢/ ١٤٤٠هـ

الركيزة الأولى
تقوى اللّه عَزَّوَجَلَّ ومراقبته

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال محمد بن إسحاق: «أي فصلًا بين الحق والباطل».

قال ابن كثير: «وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم...فإن من اتقى الله بفعل أوامره، وترك زواجره، وفِّق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه وهو محوها، وغفرها سترها عن الناس وسببًا لنيل ثواب الله الجزيل»

وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»[1].

(١) رواه الترمذي (٧٨٩١) وفيه ضعف.

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، يكون حجابا بينه وبين الحرام»[(١)].

وقال خالد بن خداش رَحِمَهُ اللَّهُ: ودَّعت مالك بن أنس، فقلت: يا أبا عبد الله أوصني، فقال: «عليك بتقوى الله في السر والعلانية، والنصح لكل مسلم، وكتابة العلم من عند أهله»[(٢)]

قال لبيد بن ربيعة:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي والعمل
أحمد الله فلا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

والتقوى هي: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وقيل: هي أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وقال طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله»[(٣)].

فالتقوى تدور على أمرين: فعل الأوامر، واجتناب النواهي، وطالب العلم يحتاج لحصول التقوى إلى تحقيق هذين الأمرين، ولنضرب مثالًا لفعل الأوامر:

الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي قرة عيون الموحدين، وهي الصلة بينهم وبين ربهم رب العالمين، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(٤)].

وكان يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا بلال أرحنا بالصلاة**»[(٥)].

وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

(١) الدر المنثور للسيوطي (١/ ١٦).
(٢) رواه ابن عبد البر في «الجامع» (١/ ٤٤٢) بإسناد حسن.
(٣) «الدر المنثور للسيوطي» (١/ ١٦).
(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٥٨٢) بإسناد حسن.
(٥) أخرجه أحمد (٨٨٠٣٢).

وقد وصفها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأجمل الصفات، فقال فيما رواه مسلم من حديث أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ «.. **وَالصَّلَاةُ نُورٌ**»[(١)].

فهي نورٌ للعبد في وجهه، ونور له في قلبه، ونور له في قبره، ونورٌ له في حشره ونشره.

وهذه الصلاة يحتاج طالب العلم إلى تقوى الله عَزَّوَجَلَّ في إتقانها وإكمالها لاسيما من جهتين:

الجهة الأولى: المبادرة إليها عند سماع النداء.

والجهة الثانية: حضور القلب فيها.

أما الجهة الأولى: فإن المبادرة إلى الصلاة مع سماع النداء دأب عباد الله الصالحين، وأوليائه المتقين.

فهذا سعيد بن المسيب -سيد التابعين- يقول: «ما أذَّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد»[(٢)].

وربيعة بن يزيد الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «ما أذَّن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد، إلا أن أكون مريضًا أو مسافرًا»[(٣)].

وسليمان بن مهران الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ قال عنه وكيع: «كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبًا من ستين فما رأيته يقضي ركعة»[(٤)].

وفي المبادرة وانتظار الصلاة أجر عظيم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»[(٥)].

(١) مسلم (٣٢٢).
(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٢٦١- ٣٦١).
(٣) «السير» (٥/ ٢٣٩- ٢٤٠).
(٤) «الحلية» (٥/ ٩٤).
(٥) رواه البخاري (٥٤٤).

وأما الجهة الثانية: وهي حضور القلب في الصلاة، فهو لب الصلاة وروحها، ولا تؤتي الصلاة ثمارها إلا إذا أحضر العبد قلبه فيها.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]

خاشعون أي: (خاضعون) ساكنون يتدبرون ما يقرؤون، ويعقلون ما يقولون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فَرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقُرَّة عين» اهـ.

وحضور القلب في الصلاة يحتاج إلى مجاهدة، واستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ وسؤاله قلبًا خاشعًا، والاستعاذة به تعالى من قلب لا يخشع.

وإذا علم طالب العلم أن تحصيله العلمي وحفظه وفهمه مرتبط بإتقان الصلاة وإتمامها وحضور القلب فيها جمع همته لذلك.

أما اجتناب النواهي:

فلزامًا على طالب العلم أن يجتنب المعاصي والسيئات، لأن المعاصي بريد الكفر، ينزلها المرء مرحلة مرحلة حتى يخرج من دين الإسلام بالكلية.

روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صَقَلَتْ قَلْبَهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّىٰ تَعْلُوَ قَلْبَهُ فَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]**»[1].

وهي حاجز له عن التحصيل والفهم.

ذلك أن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

(١) «سنن الترمذي» (٤٣٣٣)، وابن ماجة (٤٤٢٤) وإسناده حسن.

ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضل ... وفضل الله لا يؤتاه عاصي[1]

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله»[2].

فالمعاصي شر مستطير، ونارٌ موقدة في قلب صاحبها إذا لم يتب إلى الله منها، لا سيما المعاصي الخفية فإن عواقبها أليمة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهرةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْه**»[3].

وعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بَيْضَاءَ، فَيَجْعَلُهَا اللهُ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا وَجَلِّهِمْ، لا نَكُونُ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»[4].

---

(١) انظر: «شرح ثلاثيات المسند» (١/ ٩٦٧)، و«الداء والدواء» ص (٦٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٥٩١١) وفي إسناده انقطاع.

(٣) رواه البخاري (٩٦٠٦) ومسلم (٠٩٩٢).

(٤) أخرجه ابن ماجة (٥٤٢٤) قال البوصيري في «الزوائد» (٣/ ٦٠٣): «هذا إسناد صحيح

وتأمل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

قال ابن كثير: «أي فاعلم أن ذلك كائن عن قَدر الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما عليهم من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم ونكالهم» اهـ.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.[الأنعام: ١١٠].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]

مما يدل على أن الإعراض عن الهدى إلى الضلال بارتكاب المعاصي والسيئات عقوبة عاجلة في الدنيا قبل الآخرة.

ثم لا تنظر – أخي رعاك الله – إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظم من تعصي، وهو الله عَزَّوَجَلَّ الذي أمدَّك بالنعم، ودفع عنك الشرور والنقم.

والله الموفق.

رجاله ثقات».

الركيزة الثانية

الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في الطلب

الإخلاص في الطلب هو: أن يريد الإنسان بتعلمه وجه الله والدار الآخرة، لا يريد به الأغراض الدنيوية من تحصيل رياسة أو جاه ومال، ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له في المجالس، ونحو ذلك.

قال الإمام أحمد: «العلم لا يعدله شيء لمن صحَّت نيته، قيل له: وأي شيء تصحيح النية؟ قال: ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل»[(١)].

قال أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح.

والعلم عبادة من العبادات وقربة من القرب فإن خلُصَت فيه النية قُبِلَ وزكى ونمت بركته، وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع، وخسرت صفقته»[(٢)].

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – لما ذكر قول هشام الدستوائي –: «والله ما أستطيع أن أقول إني ذهبت يومًا قط أطلب الحديث، أريد به وجه الله – عَزَّوَجَلَّ»

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨٣).

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم» ص (٩٦١).

قال: «والله ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله، فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أوّلا لا لله، وحصّلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد، وغيره:

طلبنا هذا العلم، وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد

وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، فهذا أيضًا حسن، ثم نشروه بنية صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليُثنى عليهم، فلهم ما نووا.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من غزا ينوي عقالًا، فله ما نوى**».

وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم، ووُلُّوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبّا لهم، فما هؤلاء بعلماء!

وبعضهم لم يتق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار.

وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار.

وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئًا كبيرًا، وتضلعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل.

وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله؛ لأنهم ما رأوا شيخًا يقتدى به في العلم، فصاروا همجًا رعاعًا، غاية المدرس منهم أن يحصل كتبًا مثمنة،

يخزنها، وينظر فيها يومًا ما، فيصحف ما يورده، ولا يقرره، فنسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالم، ولا رأيت عالمًا[1].

واعلم أن إخلاص النية يحتاج إلى مجاهدة ودعاء، لأن الصوارف كثيرة، والمغريات متنوعة، فربما طلب العلم لله ثم صرفه عنه صارف.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي، إنها تتقلب عليَّ»[2].

لكن إذا علم الله من العبد صدق نيته وحسن قصده وفقه وسدده وجعل علمه خالصًا لوجهه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ثم إن النية الصالحة لها أثر بالغ حتى في المباحات، فالأكل والشرب والنوم إذا نوى بها التقوي على طاعة الله، صارت عبادة.

قال معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»[3].

حتى النفقة على الأهل والأولاد إذا احتسب ثوابها أُجِرَ، في «الصحيحين» عن أبي مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهْوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»[4].

بقي أن يقال: ما كيفية إخلاص النية؟

فالجواب: أن ينوي بطلبه ثواب الله والوصول على دار كرامته، وينوي إزالة الجهل عن نفسه كي يعبد الله على بصيرة، وكذا إزالة الجهل عن الخلق بالدعوة والإرشاد، والتوجيه، وينوي إحياء الدين وإبقاء الإسلام، فإن بقاء الإسلام بالعلم[5].

(١) «السير» (٧/ ٢٥١- ٣٥١).
(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٥) و«آداب طالب العلم والمتعلم» للنووي ص (٨).
(٣) أخرجه البخاري (٥٤٣٤).
(٤) البخاري (١٥٣٥)، ومسلم (٩٦٣٢).
(٥) انظر «تعليم المتعلم طريق التعلم» (٦٦).

وينوي التواضع فيه، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد جاء الوعيد الشديد على من طلب العلم لغير الله.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

ففي الحديث الحث على الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وفيه: بيان عاقبة من لم يخلص لله عَزَّوَجَلَّ في عبادته، وكذا في طلبه للعلم ونحوه.

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللهِ، لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2] يَعْنِي رِيحَهَا.

(١) رواه مسلم(٢٣٠٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٦٣)، وابن ماجة (٢٥٢)، وأحمد (٢/ ٨٣٣)، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٦): «بإسناد جيد» وهو كما قال.

قال حماد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من طلب الحديث لغير الله مُكر به»[١].

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخشى أن من طلب العلم بغير نية أن لا ينتفع به»[٢].

فاحذر يا طالب العلم – رعاك الله – من النية الفاسدة، فإنها سبب لعدم التوفيق، ومحو بركة العلم، وعدم انتفاع الناس بعلمك»

قال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخلص أيها الطالب النية لله عَزَّوَجَلَّ في طلبك للحديث فالنفع به وبغيره من العلوم الشرعية متوقف على الإخلاص به لله تعالى، والضرب صفحا عما عدا ذلك من الأغراض والأعراض لتسلم من غوائل الأمراض ودسائس الأعواض... وحيث كان كذلك تزداد علمًا وشرفًا في الدارين واتق المفاخرة فيه والمباهاة به وأن يكون قصدك من طلبه نيل الرياسة والوظائف واتخاذ الأتباع وعقد المجالس[٣]...اهـ.

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٣٥١١).
(٢) «المدخل» للبيهقي ص (٥٢٣).
(٣) «فتح المغيث» (٣/ ٤٧٢).

الركيزة الثالثة
العناية بالقرآن الكريم

القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، تكلم به ربنا عَزَّوَجَلَّ من فوق سبع سماوات، وألقاه على رسولنا الكريم بواسطة جبريل الأمين.

وقد وصفه الله عَزَّوَجَلَّ بأنه مبارك فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

ووصفه بأنه أحسن الحديث فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وهو يهدي للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وهو هدى وشفاء: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ممتنا على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم على رسوله الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: زاجر عن الفواحش، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: من الشُبَه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من

رجس ودَنَس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: محصلٌ لها الهداية والرحمة من الله تعالى. وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]،... وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى وديـن الحق فليفرحوا، فإنه أولى ما يفرحون به، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة[1].

وفي «صحيح مسلم» عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[2].

والعناية بالقرآن تتشمل في أمور:

أولًا: حفظه كله أو ما تيسّر منه

حفظ القرآن من نعم الله على العبد، وتوفيقه له، في «الصحيحين» عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[3].

ولقد كان حفظ القرآن عند أهل العلم من الأساسيات التي يبدأ بها طالب العلم.

قال الميموني رَحِمَهُ اللَّهُ: «سألت أحمد: أيما أحب إليك، أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا بالقرآن، قلت: أعلمه كلّه؟ قال: إلا أن يعسر عليه فتعلمه منه، ثم قال: إذا قرأ أولًا تعلم القراءة ولزمها»[4].

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٧٢).
(٢) مسلم (٤٣٩١).
(٣) البخاري (٩٢٥٧)، ومسلم (٠٣٩١).
(٤) «طبقات الحنابلة» (١/ ٤١٢).

وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولًا، حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة، ففعلت، فلما عيّد، أذن لي»[(١)].

وقال ابن أبي حاتم: «لم يدعني أبي أن أشتغل بالحديث حتى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان الرازي، ثم كتبت الحديث»[(٢)].

قال ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في ذكر آداب طالب العلم -: «أن يبتدئ أولًا بكتاب الله العزيز، فيتقنه حفظًا، ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه، فإنه أصل العلوم وأمها وأهمها»[(٣)].

واعلم أن حفظ القرآن في زمن الصغر أضبط وأبعد عن النسيان.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ، يعني المفصل، وكان حينئذ صغيرًا قد ناهز الاحتلام أو احتلم قريبًا»[(٤)].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التعلم في الصغر كالنقش في الحجر»[(٥)].

قال بعضهم:

ما الحلم إلا بالتحلم في الكبر وما العلم إلا بالتعلم في الصغر.

ثم يتأكد على من حفظه أن يتعاهده لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»[(٦)].

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤١/ ١٧٤).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣١/ ٥٦٢).
(٣) «التذكرة» ص (٥١٢).
(٤) رواه البخاري (٥٣٠٥).
(٥) رواه البيهقي في «المدخل» (٠٤٦).
(٦) أخرجه البخاري (٣٣٠٥)، ومسلم (٠٨٨١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ»(١).

وتتأكد التلاوة والإكثار على من حفظ القرآن أن يتعاهده وأن يقوم به في الليل لئلا ينساه.

ومع ذلك يقال: إن حفظ القرآن ليس واجبًا على طالب العلم لكن حفظه نعمة كبرى، ومنَّة عظمى، ومفتاح لكل خير، ولذا فليجتهد طالب العلم وليحرص على حفظه وإتقانه.

فإن لم يستطع فليحفظ منه ما تيسّر ليقرأه في صلاته، وفي إمامته إذا كان إمامًا ولن يعدم خيرًا.

ثانياً: الإكثار من تلاوته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

عن أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»(٢).

وفي «الصحيحين» عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٥)، ومسلم (٥٧٨١).
(٢) رواه مسلم (١٩١٠).

الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»[1].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»[3].

وقد كان من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلفنا الصالح الإكثار من تلاوة القرآن.

فكان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وردًا من القرآن يقرؤه كل يوم لا يخل به، وهذا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس.

وكان تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يختم القرآن في سبع.

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة أبي بكر بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ: «روينا عنه أنه قال لابنه: يا بنيَّ إياك أن تعصي الله في هذه الغرفة، فإني ختمت فيها اثني عشر ألف ختمة، وروينا عنه أنه قال لابنته عند موته، وقد بكت: يا بُنيَّة لا تبكي، أتخافين أن يعذبني الله تعالى وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة؟!»[4].

وقال: عن محمد بن عبد الله بن إدريس الأودي أنه قال لابنته- حين بكت عند حضور موته-: لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة»[5]

(١) رواه البخاري (٧٢٤٥)، ومسلم (٦٩٨١).
(٢) رواه الترمذي (٢٩١٠) وصححه.
(٣) رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٤١٩٢).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٠٥).
(٥) «شرح صحيح مسلم» (١/ ٨٧).

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال عنه ابن عبد الهادي: «وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] ثم كملت عليه بعد وفاته وهو مسجى، كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء يختم في عشرة أيام هكذا أخبرني أخوه زين الدين»[1] اهـ.

ومن السلف من كان يقرأ القرآن في مدة قصيرة كيوم أو يومين.

والمقصود أن يكون لطالب العلم ورد يقرؤه كل يوم لا يخل به، لئلا يشمله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

ثالثاً: تدبر معانيه.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقد عاب المولى تعالى من لم يتدبر القرآن بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

فتدبر القرآن وتفهم معانيه من أجلِّ الطاعات وأفضل القربات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تدبر القرآن طالبًا للهدى منه تبين له طريق الحق»

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

قال ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثلاثٌ أحبهن لي ولإخواني: هذا القرآن يتدبره الرجل، ويتفكر فيه، فيوشك أن يقع على علمٍ لم يكن يعلمه...»[2].

فأنفع ما يجد العبد حين تلاوة القرآن تدبره والتفكر في معانيه.

(١) «العقود الدرية» ص (٨٦٣).

(٢) «جامع بيان العلم» (٥١٤١).

ومما يعين على التدبر ما يلي:

١- إخلاص النية:

فالإخلاص شرط أساسي في جميع الأعمال، أن يبتغي بقراءته وتلاوته ثواب الله والوصول إلى دار كرامته، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»(١).

٢- إحضار القلب عند تلاوته:

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتدبر للقرآن من أعظم الطرق والوسائل الجالبة للإيمان، والمقوية له، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فاستخراج بركة القرآن التي من أهمها حصول الإيمان سبيله وطريقه: تدبر آياته وتأملها كما ذكر: أن تدبره يوقف الجاحد عن جحوده، ويمنع المعتدي على الدين من اعتدائه»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منه إليه فإنه خاطب منه لك على لسان رسوله قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧] وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفا على مؤثر مقتض ومحل قابل وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد(٣)...اهـ.

(١) رواه البخاري (١) ومسلم (٦٣٠٥).
(٢) «التوضيح والبيان لشجرة القرآن» ضمن المجموعة الكاملة (٣/ ٠١١).
(٣) «الفوائد» ص: ٣.

فإذا أردت أن تحصل لك ثمرة تلاوة القرآن والانتفاع به فاحضر قلبك عند تلاوته، وجرِّب تجد.

بخلاف من يقرأ القرآن وهو غافل ساهٍ، لا تظهر له ثمرته ولا تتبين له معانيه.

٣- قراءة التفسير

قراءة التفسير مما يعين على تدبر القرآن، لاسيما الآيات والمفردات التي يشكل معناها.

وكتب التفسير كثيرة متنوعة، من أجمعها «تفسير الحافظ ابن كثير» رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى سنة (٧٧٤هـ).

ويمتاز هذا التفسير بمزايا كثيرة من أهمها: أنه تفسير بالمأثور، فهو يفسِّر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ثم بأقوال التابعين.

وقد خُدم هذا التفسير من ناحية اختصاره والتعليق عليه وتخريج أحاديثه، ووضع فهرس شامل لجميع أحاديثه، وكذا العناية بطباعته.

ومنها: «تفسير الجلالين» لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، وهو تفسير قيِّم، ومفيد لطالب العلم، إذ هو كالفهرس للكلمات الغريبة، مع الإشارة أحيانًا لبعض المسائل الفقهية باختصار، والإشارة للقراءات ووجوه الإعراب في الآيات.

وهذا التفسير كان محل عناية واهتمام من علمائنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فالشيخ عبد الرحمن بن سعدي استفاد منه كثيرًا في تفسيره، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرع في تحقيقه ثم توقف، وللشيخ عبد الرزاق عفيفي تعليق على جزء منه وهو من أول سورة الصافات إلى آخر المصحف، وخرج في مجلد.

وشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح وعلَّق على مواضع منه في دروسه العلمية في الإجازات الصيفية.

وقد طبع هذا التفسير عدة طبعات، ولعل من أجودها في نظري الطبعة التي علَّق عليها الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

ومنها: تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموسوم بـ «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»

وهو تفسير مهم، يعطي القارئ تصوّر عام لمعنى الآية الكريمة، مع ما فيه من الاستنباط للفوائد وذكر بعض الأحكام الفقهية في آيات الأحكام، وهذا التفسير جديرٌ بالعناية والمدارسة، وقد طبع عدة طبعات، وفي بعض الطبعات في مجلد واحد.

ومنها: «المختصر في التفسير» من إعداد مركز تفسير للدراسات القرآنية...

والتفاسير كثيرة ومتنوعة والمقصود الإشارة إلى أهمها.

٤- البحث الموضوعي في القرآن.

مما يعين على التدبر البحث في موضوعات متفرقة من القرآن، ودراستها واستنتاج بعض الفوائد منها.

فمن ذلك مثلًا ما يتعلق باليهود والنصارى، وبيان كفرهم وتحريفهم لكتبهم وكتمانهم الحق فيها مما لا يوافق أهوائهم الباطلة وآرائهم المنحرفة، جمع الآيات ودراستها.

ومن ذلك: صفات المؤمنين في القرآن الكريم جمعًا ودراسة.

ومن ذلك: أحكام الحدود في القرآن، القصاص، الزنا، السرقة، اللواط، القذف، المسكر، ونحو ذلك.

ومن ذلك: ما يتعلق بحقوق الزوجين، ومعاشرة كل منهما للآخر بالمعروف، وحقوق الأبناء والبنات على آبائهم جمعًا ودراسة من كتب التفسير ومن كلام أهل العلم.

ومن ذلك: ما يتعلَّق بأمراض القلوب، وتشخيص القرآن لها، وبيان أضرارها ومفاسدها، وكيف يسعى العباد في إزالتها واقتلاعها، وتوجيهها إلى ما ينفع ولا يضر.

ومن ذلك تدوين ما يمر في خاطرك من فوائد لبعض الآيات الكريمة، فالإنسان أحيانًا وهو يقرأ قد يفتح الله عَزَّوَجَلَّ عليه استنتاج بعض الفوائد في خاطره، أو يتذكر أنه قرأها ولا يعلم أين مكانها فهنا ينبغي له تدوينها لئلا تغيب عن ذهنه.

٥- تحسين الصوت عند تلاوته.

وهذا مما يعين على التدبر، وعلى حضور القلب والخشوع عند التلاوة، وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر، والتفكر وتحريك القلوب به، والتعبُّد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له»

وفي «صحيح البخاري» عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «**يَا أَبَا مُوسَىٰ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُد**»(١).

وبوَّب عليه: باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن.

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**»(٢).

ثم قال: والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشُّع به»(٣).

فكلما جاهد الإنسان نفسه على تحسين صوته عند القراءة كان ذلك أدعى لحضور قلبه وخشوعه.

(١) رواه البخاري (٨٤٠٥).
(٢) رواه أبو داود (٠٧٤١)، والنسائي (٥١٠١)، وابن ماجة (٢٤٣١)، وقال ابن كثير: هذا إسناد جيد.
(٣) «فضائل القرآن» ص (٠٩١).

٦- الاستماع إلى القرآن من قارئ حسن الصوت.

في «الصحيحين» وغيرهما عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»[(١)].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها»[(٢)] اهـ.

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ رَأَيْتَنِي الْبَارِحَةَ، وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» قَالَ: قُلْتُ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهَا لَكَ تَحْبِيرًا.

وفي «الصحيحين» عن جُبَيْرٍ بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ.

زاد البخاري: فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ[(٣)].

ولذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته بين يدي القوم[(٤)].

(١) رواه البخاري (٩٤٠٥)، ومسلم (٣٠٩١).
(٢) «فتح الباري» (٩/ ٤٩).
(٣) أخرجه البخاري (٤٥٨٤) ومسلم (٣٦٠١).
(٤) رواه ابن أبي داود كما في «الفتح» (٩/ ٢٩).

٧- عدم الإسراع المفرط عند التلاوة.

روى الترمذي والنسائي عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها نعتت قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قراءة مفسرة حرفًا حرفًا[(١)].

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرَجِّعُ[(٢)].

وفي رواية للبخاري: «قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ»[(٣)].

قال ابن أبي حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى الترجيع تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء، لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة»

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله»

وفي «الصحيحين» واللفظ لمسلم: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال له: إِنِّي لأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ»[(٤)].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله هذًّا كهذِّ الشعر» معناه سرعة القراءة بغير تأمل كما ينشد الشعر»[(٥)].

وهذا ليس على إطلاقه، بل لكل من الإسراع والترتيل جهة فضل، فقد يقرأ الإنسان بإسراع وحدر مع إتيانه بالحروف والحركات، والسكون والواجبات، وحضور القلب، ولو قرأ بترتيل لم يحصل له ذلك.

فهذا يختلف باختلاف الأشخاص. والله أعلم.

(١) رواه الترمذي(٣٢٩٢)، والنسائي(٢٢٠١).
(٢) رواه البخاري (١٨٢٤)، ومسلم (٩٨٨١).
(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥).
(٤) مسلم (٥٤٩١).
(٥) «الفتح» (٩/ ٩٠).

٨- قراءته بالليل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزمل: ٦].

نَاشِئَةَ اللَّيْلِ أي: الصلاة فيه بعد النوم، أقرب إلى حصول مقصود القرآن، يتواطأ عليه القلب واللسان، وتقل الشواغل، ويفهم ما يقول، ويستقيم له أمره[(١)].

وقال تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلاَةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ...»[(٢)].

وفي «الصحيحين» عنه أيضًا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(٣)].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»، قَالَ سَالِمٌ فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلًا[(٤)].

وعن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»[(٥)].

والأحاديث والآثار في فضل قيام الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن

(١) «تفسير ابن سعدي» ص (١٠٥٨).
(٢) رواه مسلم (٢٨١٣).
(٣) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (١٨٠٨).
(٤) رواه البخاري (١١٢٢) ومسلم (٦٥٢٥).
(٥) رواه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (٢٧٩٠).

المشغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن فضيلة القيام بالليل والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير، وكلما كثر كان أفضل، إلا أن يستوعب الليل كله، فإنه يكره الدوام عليه إلا أن يضر بنفسه»[1].

رابعاً: العمل به.

من صور العناية بالقرآن الكريم العمل به امتثالًا للمأمور واجتنابًا للمحظور، وهذه هي الثمرة من إنزال القرآن الكريم، تدبر معانيه، والعمل بما فيه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال بعض السلف: «نزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملًا»

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم»[2].

وفي «صحيح مسلم» عن سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ بن عامر قال لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يا أم المؤمنين أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ[3].

والمراد بذلك العمل به، والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته[4].

(١) «التبيان في آداب حملة القرآن» ص (٣٥).
(٢) «زاد المعاد» (١/ ٣٣٨).
(٣) «مسلم» (١٧٧٣).
(٤) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٢٦).

وتأمل هذه القصة.

في «صحيح البخاري» عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا، أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللهِ، مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ[1].

ما أحوج الناس عمومًا، وطالب العلم خصوصًا إلى الوقوف عند كتاب الله، امتثالًا لأمره واجتنابًا لنهيه، وتطبيقاً لأحكامه.

يا طالب العلم:

احرص وفقك الله على العمل بكتاب الله، وليكن القرآن دائمًا نصب عينيك، وأبشر بما يسُرك.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعها سمعك، فإنه خيرٌ تؤمر به، أو شرٌ تنهى عنه».

واعلم أن من أعظم أنواع هجر القرآن الإعراض عنه، وعدم العمل به والعياذ بالله قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

أي أعرضوا عنه وهجروه وتركوا العمل به، ولم ينقادوا لحكمه.

(١) رواه البخاري(٤٦٤٢).

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤- ١٢٦].

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء همومنا وغمومنا..

وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا. وارزقنا فهمه وتدبر معانيه والعمل بما فيه يا رب العالمين.

الركيزة الرابعة

الحـــفـــــظ

وفيه مباحث.

المبحث الأول: أهمية الحفظ

الحفظ لطالب العلم مهمٌ جدًا، فعلم بلا حفظ كبدن بلا روح، وشجرة بلا ثمرة، وقد ورد في السنة وآثار السلف ما يدل على أهميته، ففي «الصحيحين» عن أَبِي بَكْرَةَ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبته في حجة الوداع: «..**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَىٰ أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَىٰ لَهُ مِنْهُ**»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه...**»[2].

وعن أبان بن عثمان: قال خرج زيد بن ثابت من عند مروان نصف النهار قلنا: بما بعث إليه في هذه الساعة إلا لشيء سأله عنه فسألناه فقال: نعم، سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سمعت من رسول الله

(١) رواه البخاري (٦٧)، ومسلم (٣٣٧٠).
(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٨).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتىٰ يبلغه غيره فرب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه**»[1].

ففي هذه الأحاديث دليل على فضيلة الحفظ والثناء على صاحبه لاسيما إذا جمع مع حفظه الفهم والفقه لما حفظ.

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على الحديث السابق: «فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قد يحمل الحديث من يكون له حافظًا، ولا يكون فيه فقيهًا، وأكثر كتبة الحديث في هذا الزمن بعيد من حفظه...»[2].

وروى مسلم في «صحيحه» عن أَبي زَيْدٍ عَمْرَو بْنَ أَخْطَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[3].

وبوب البخاري في «صحيحه» باب حفظ العلم.

وأورد فيه قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... وفيه: «وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِبَعِ بَطْنِهِ وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ[4].

وروى الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا إذا خرجنا من عند جابر بن عبد الله تذاكرنا حديثه، وكان أبو الزبير أحفظنا للحديث».

وروى الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال لرجل: «احفظ عني ما حدَّثتك»

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٦) وأحمد (٥/ ١٨٣)، ولهذه الأحاديث شواهد متعددة سردها ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٧٥-١٩١)، باب: دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمستمع العلم وحافظه ومبلغه..

(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٤٠).

(٣) رواه مسلم (٧٤٤٩).

(٤) البخاري (١١٨).

وقال الرحبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته:

فاحفظ فكل حافظ إمام...

وقال عبد الرزاق بن همَّام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده، وأنشد:

وليس بعلم ما حوى القِمطرُ ... ما العلم إلا ما حواه الصدر[1].

(١) «الحث على حفظ العلم» لابن الجوزي ص (١٣).

المبحث الثاني

العناية على وجه الخصوص بحفظ الأصول والقواعد والضوابط والتعليلات.

لأن الأصول والقواعد هي العلم والمسائل فروع، وضبطها وإتقانها وحفظها يجمع لطالب العلم متفرقات شتى في مسائل متعددة.

وقد قيل: (من حرم الأصول حرم الوصول).

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منظومته الفقهية»:

وبعد فالعلم بحور زاخرة ... لن يبلغ الكادح فيه آخره
لكن في أصوله تسهيلا لنيله ... فاحرص تجد سبيلا
اغتنم القواعد الأصولا ... فمن تفته يحرم الوصولا

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معرفة الأصول والضوابط واعتبارها بالمسائل والصور من أنفع طرق التعليم»[1].

ثم اعلم أن القواعد والضوابط مستنبطة من الكتاب والسنة بالتتبع والاستقراء.

خذ على سبيل المثال قاعدة: «اليقين لا يزول بالشك»

فهي من الأصول مأخوذة من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، قال: «**لا ينصرف حتىٰ يسمع صوتًا أو يجد ريحًا**».

فأحاله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على اليقين، وأنه لا يزول بالشك.

قاعدة أخرى: «المشقة تجلب التيسير»، هذه من الأصول، مأخوذة من الكتاب والسنة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

(١) «الفتاوى السعدية».

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمران بن حصين: «صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ»[1].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[2].

فهذا الأصل والضابط يدخل تحته عدة مسائل متنوعة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعليك يا أخي بحفظ الأصول والعناية بها...»، ثم قال: «ولقد أحسن صالح بن عبد القدوس حيث قال:

يا أيها الدارس علمًا ألا تلتمس العون على درسه

لن تبلغ الفرع الذي رمته إلا ببحث منك عن أسِّه»[3].

وقال ابن بدران رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أنه لا يمكن للطالب أن يصير متفقهًا ما لم تكن له دراية بالأصول، ولو قرأ الفقه سنينًا وأعوامًا، ومن ادعى غير ذلك كان كلامه إما جهلًا وإما مكابرة»[4].

وهذه القواعد والضوابط والأصول تتبعها أهل العلم من الكتاب والسنة، ودوَّنوها في مصنفات مستقلة.

منها: كتاب «القواعد» لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنها: «القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة» للشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهو على اختصاره من أحسن ما أُلِّف في هذا الفن، وينبغي تكرار مطالعته، وإن أمكن حفظ القواعد المذكورة فيه فحسن.

(١) البخاري (١١١٧).
(٢) البخاري (٧٢٨٨).
(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٣٩ - ١١٤٠).
(٤) «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» (٢٥٥).

إضافة إلى ذلك التعليلات التي يذكرها الفقهاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فهي ضوابط مهمة تشتمل مسائل متعددة.

خذ على سبيل المثال كتاب «الروض المربع شرح زاد المستقنع» للشيخ منصور البهوتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتب الحنابلة، يذكر في أثنائه ضوابط مهمة وتعليلات للأحكام الشرعية، فلو جمعها طالب العلم ودوَّنها حال قراءته وحفظها لاجتمع له خيرٌ كثير.

المبحث الثالث

ماذا يحفظ طالب العلم.

يحفظ في كل فن مختصرًا فيه، حتى ولو كانت لديه رغبة في التخصص في فن معين، فإنه أولًا يحفظ في جميع الفنون مختصرًا فيها.

وإليك سرد بعض المختصرات في مختلف الفنون والتي أرى أهميتها لطالب العلم.

أولًا: في الحديث.

١- «الأربعين النووية»، للنووي.

البداءة بحفظها مهمٌ جدًا لطالب العلم، وقد قال مؤلفها عنها: «ولا يستغني متدين عن معرفتها»، لأن كل حديث منها يعتبر قاعدة من قواعد الإسلام في الأصول والفروع والزهد والآداب ومكارم الأخلاق.

٢- «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» لابن حجر.

وإنما قدمته على «عمدة الأحكام» لكونه يتميز بمزايا منها.

أ- إمامة مؤلفه.

ب- اشتماله على أحاديث صحيحة في الأحكام خارج «الصحيحين».

ج- كثرة شروحه.

د- حكمه على الأحاديث أو نقله لأحكام الأئمة عليها.

هـ - عناية العلماء المتقدمين والمتأخرين به.

ثانياً: في الفقه.

أحسن مختصر في الفقه هو «**زاد المستقنع في اختصار المقنع**» للشيخ موسى الحجاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٩٦٨هـ).

ولم يؤلف بعده متن مشبع بالمسائل والمهمات مثله، بَلْهَ أن يفوقه في كثرتها واحتوائها، حتى قيل: إن مسائله بالنص والمنطوق، نحو ثلاثة آلاف مسألة ونحوها من الإيماء والمفهوم، الجميع نحو ستة آلاف مسألة.

وقد قيل: متن زاد وبُلُوغ كافيان في نبوغ.

أي زاد المستقنع في الفقه، وبلوغ المرام المتقدم ذكره في الحديث[1].

و«**منهج السالكين**» لابن سعدي.

ثالثاً: في العقيدة.

١- «**العقيدة الواسطية**»، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو من أحسن ما أُلِّف في توحيد ال أسماء والصفات.

٢- كتاب «**التوحيد**» للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠٦).

وهذا الكتاب ليس له نظير، قد أوضح فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ التوحيد الذي أوجبه الله على العبيد، وما يضاده من الشرك بأنواعه والبدع.

وقد اعتنى به الأئمة شرحًا وتعليقًا.

قال بعضهم فيه:

وألِّف في التوحيد أوجز نبذة ... بها قد هدى الرحمن من هدى
نصوصًا من القرآن تشفي من عمى ... وكل حديث للأئمة مسند

(١) انظر «المدخل المفصَّل إلى فقه الإمام أحمد» لبكر أبو زيد (٢/ ٧٧٠).

رابعاً: في النحو

النحو مهم لطالب العلم وهو سهل يسير إذا أتاه من بابه وتدرَّج فيه، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة»

وقال المبرّد:

النحو زينٌ وجمال يلتمس ... يأخذ من كل العلوم بالنفس
صاحبه مكرم حيث جلس ... هل يستوي رب الحمار والفرس

وقد عاب الأئمة اللحن في الكلام وأزروا على صاحبه، روي عن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا يضربان أولادهما على اللحن.

وكان عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «اللحن في الرجل السَّري كالجدري في الوجه»

وقال شعبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «من طلب الحديث فلم يبصر العربية فمثله مثل رجل عليه برنس وليس له رأس»[1].

ومن أحسن المختصرات في النحو: «الأجرومية»، لأبي عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي المعروف بابن آجروم (ت ٧٢٣).

وهي على اختصارها مباركة، وقد يستغني الطالب بها عن المطولات، إذا حفظها وأتقنها وفهمها.

خامساً: في مصطلح الحديث.

من أحسن المختصرات في هذا الفن «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» لابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٨٥٢هـ).

(١) انظر «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب (٢/ ١٠ - ١٧).

وهو زبدة للتصانيف التي أُلِّفت في اصطلاح أهل الحديث

وقد سلك فيه مؤلفه طريقة سهلة يسيرة للحفظ، وهي طريقة السبر والتقسيم.

وقد اعتنى بها الأئمة قديمًا وحديثًا شرحًا وتعليقًا ونظمًا وممن شرحها المؤلف نفسه في كتابه «نزهة النظر في شرح نخبة الفكر»

ويليها: «الموقظة» للحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٤٨هـ) وفيها بعض القواعد في هذا الفن، لم تُذكر في نخبة الفكر.

سادسًا: في الفرائض.

«**البرهانية**» لمحمد البرهاني (ت ١٢٠٥ هـ) وهي منظومة مختصرة جامعة لعلم المواريث.

وقد اعتنى بها شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشرحها عدة مرات في مسجده للطلاب، وكان يأمرنا بحفظها، ويقول في تفضيلها على الرحبية: «هذه المنظومة في الفرائض اخترناها من قديم على الرحبية، وإن كانت الرحبية أشهر منها، لأنها أخصر من الرحبية وأجمع، وفيها من الأبواب التي تركها الرحبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما جعلها مفضَّلة عندنا على الرحبية...ثم هذه المنظومة متأخرة، فالبرهاني توفي سنة (١٢٠٥هـ)، فهي مع تأخرها جامعة وأبياتها عذبة، لا تقل عذوبة عن الرحبية» اهـ.

سابعًا: في أصول الفقه.

علم أصول الفقه فيه صعوبة، والمؤلفات المختصرة فيه مع كثرتها قد يصعب حفظها.

ومن أحسن المختصرات في هذا الفن والذي ينبغي للطالب المبتدئ أن يجعله مدخلًا له كتاب «الأصول من علم الأصول» لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وكان تأليفه في الأصل لطلاب الثاني ثانوي في المعهد العلمي.

ثامناً: في القواعد الفقهية.

١ - «منظومة القواعد الفقهية» لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.، فقد جمع فيها قواعد مهمة في نحو ثلاثمائة بيت، وشرحها شرحا مفصَّلًا.

٢ - «القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة» للشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد تقدم أنه كتاب مختصر مفيد في هذا العلم، وقد شرحه وعلَّق عليه شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تاسعاً: في السيرة النبوية.

١ - «مختصر زاد المعاد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ - «مختصر سيرة الرسول» له أيضًا.

٣- «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» للشيخ محمد الخضري، وهو مفيد لطالب العلم على ما فيه من بعض الأحاديث الضعيفة والإسرائيليات.

* وهناك كتب أخرى في السيرة والأخلاق والآداب وكتب التراجم والسير ليست للحفظ لكنها للمطالعة.

المبحث الرابع

ما الذي يعين على الحفظ

١- الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ:

فإذا علم الله منك صدق النية، وحسن القصد أعانك على الحفظ، ووفقك لسرعة الفهم.

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي أن يكون قصد الطالب بالحفظ ابتغاء وجه الله تعالى والنصيحة للمسلمين، في الإيضاح والتبيين»[(١)].

وقد تقدم الكلام على إخلاص النية مستوفى.

٢- البعد عن المعاصي والسيئات:

تقدم قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله»

وسأل رجل مالك بن أنس: يا أبا عبد الله! هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: «إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي».

وقال علي بن خشرم سألت وكيعًا، قلت: يا أبا سفيان! تعلم شيئًا للحفظ؟ قال: أراك وافدًا، ثم قال: «ترك المعاصي عون على الحفظ»[(٢)].

فإذا أردت – أخي الطالب- أن ينوِّر الله بصيرتك، وينير طريقك ويعينك على الحفظ والفهم، فابتعد عن المعاصي، فإنها شرٌ مستطير، ونارٌ موقدة، وعواقبها أليمة.

(١) «الجامع» للخطيب (٢/ ٣٨٧).
(٢) «الجامع» للخطيب (٢/ ٣٨٧).

٣- اختيار الوقت والمكان المناسب:

مما يعين على الحفظ اختيار الوقت المناسب للحفظ وكذا المكان المناسب.

قال الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن للحفظ ساعات، ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيها، وللحفظ أماكن ينبغي للمتحفظ أن يلزمها، فأجود الأوقات، الأسحار، ثم بعدها وقت انتصاف النهار، وبعدها الغدوات دون العشيات، وحفظ الليل أصلح من حفظ النهار».

قيل لبعضهم: بم أدركت العلم، فقال: «بالمصباح والجلوس إلى الصباح».

وقيل لآخر، فقال: «بالسَّفر، والسَّهر، والبكور في السَّحر»

قال: وأجود أماكن الحفظ الغرف دون السفل، وكل موضع بعُد مما يلهي، وخلا القلب فيه مما يقرعه فيشغله، أو يغلب عليه فيمنعه، وليس بالمحمود أن يتحفظ الرجل بحضرة النبات والخضرة، ولا على شطوط الأنهار، ولا على قوارع الطرق، فليس يعدم في هذه المواضع غالبًا ما يمنع من خلو القلب وصفاء السِّر»[(١)].

قلت: وهذا يختلف باختلاف الناس، فمن الناس من يكون صفاء ذهنه بعد العصر، فالتحفظ له في مثل هذا الوقت أفضل، وآخر قد يكون صفاء ذهنه بعد المغرب، فهو له أفضل، وهكذا.

وأيضًا الأماكن، فكلما كان المكان هادئًا وبعيدًا عن التشويش والأصوات المزعجة فهو أفضل.

٤- تكرار المحفوظ:

مما يعين على الحفظ تكرار المحفوظ، فإذا حفظ الطالب متنًا أو مقطعًا من متن في أي فن من الفنون، فإن مما يعينه على تثبيته ودوام حفظه تكراره.

(١) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٠٧).

خذ على سبيل المثال: إذا حفظ الطالب الأربعين النووية، فإذا أراد أن يثبت حفظه لها، فإنه لا بد من تكرارها بين فترة وأخرى، ولو تركها من غير تكرار فستكون عرضة للنسيان، بل لن يذكر منها إلا أحاديث معدودة.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل هل من دواء للحفظ؟ فقال: «لا أعلم شيئًا أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر»

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس يثبت الحفظ إلا دوام المذاكرة بالمحفوظ، ثم نقل قول الزهري: إنما يُذهب العلم النسيان وترك المذاكرة»[(١)].

وتكرار المحفوظ يكون بمذاكرته ومراجعته إما مع نفسه وإما مع الغير من إخوانه من طلبة العلم أو غيرهم، وفيها نفع عظيم جدًا.

٥- تقليل المحفوظ:

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الغلط تحمل القلب حفظ الكثير من فنون شتى، فإن القلب جارحة من الجوارح، وكما أن من الناس من يحمل المائة رطل ومنهم من يعجز عن عشرين رطلًا، فكذلك القلوب، فليأخذ الإنسان على قدر قوته ودونها، فإنه إذا استنفدها في وقت ضاعت منه أوقات، كما أن الشره يأكل فضل لقيمات فيكون سببًا إلى منع أكلات[(٢)].

وما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ حق، فإن تقليل المحفوظ يعين على الحفظ ويساعد على التكرار وعدم النسيان. مع ملاحظة عدم إدخال بعض المحفوظات على بعض.

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وينبغي له أن يتثبت في الأخذ ولا يكثر، بل يأخذ قليلًا قليلًا، حسب ما يحتمله حفظه، ويقرب من فهمه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢][(٣)].

(١) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٦٥).
(٢) «صيد الخاطر» ص (٢١٣).
(٣) انظر «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٠١).

٦- كثرة الدعاء:

الدعاء هو سلاح المؤمنين، وهو الصلة بينهم وبين ربهم رب العالمين، ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي «السنن» بسند جيد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١).

وبوَّب الترمذي في «سننه» فقال: باب في دعاء الحفظ، ثم سرد حديث ابن عباس الطويل في قصة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر...**»(٢).

وهو حديث منكر، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه من البين غرابته، بل نكارته»(٣).

وقال الذهبي: «هو مع نظافة سنده حديث منكر جدًا، في نفسي منه شيء»(٤).

فليس هناك دعاء مخصوص للحفظ، بل يدعو العبد ربه بما شاء من الأدعية ومن ذلك:

«اللهم علمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني، وزدني علمًا، الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار».

«اللهم يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهِّم سليمان فهمني»

«اللهم أعني على قوة الحفظ» وما أشبه ذلك.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجة (٣٨٢٨).
(٢) الترمذي (٥/ ٥٣٠).
(٣) «فضائل القرآن» ص (٢٩٢).
(٤) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢١٣).

٧- التقلل من الدنيا:

مما يعين على الحفظ التقلل من الدنيا، وعدم التعلق بها، لأن من تعلق بشيء شغله وألهاه، فصار شغله سببًا لعدم حفظه أو قلته.

بوَّب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه»: باب حفظ العلم.

ثم ساق من طريق مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ثُمَّ يَتْلُو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠] إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِبَعِ بَطْنِهِ وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ[1].

فانظر كيف فاق أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أقرانه من الصحابة الكرام في حفظه للحديث وكثرته، بسبب ملازمته لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على شبع بطنه.

ولذا رجَّح بعض أهل العلم لطالب العلم الفقر وقلة ذات اليد، قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يبلغ أحدٌ من هذا العلم ما يريد حتى يضر به الفقر، ويؤثره على كل شيء».

وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يستعان على الفقه بجمع الهمم، ويستعان على حذف العلائق بأخذ اليسير عند الحاجة ولا يزد»[2].

قلت: هذا فيمن عنده مؤونته وما يكفيه، وإلا فلابد أن يأخذ نصيبه منها على قدر حاجته، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، أي مما أباح

(١) البخاري (١١٨).
(٢) انظر «آداب العالم والمتعلم» للنووي ص (٤٤).

الله فيها من المآكل والمشارب، والملابس، والمناكح، فإن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فآت كل ذي حق حقه[(١)].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ -لما ذكر جملة آثار في هذا الباب-: «هذه الآثار كلها إنما أوردناها ها هنا لئلا يظن ظانٌ جاهل يرى في هذا الباب أن طلب المال من وجهه للكفاف والاستغناء عن الناس هو طلب الدنيا المكروهة الممنوع منه، فإنه ليس كذلك...»[(٢)].

٨- إصلاح الغذاء وطيب الكسب:

أما إصلاح الغذاء فبعدم الإكثار من الطعام،والأكل بقدر.

في «الصحيحين» عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ وَإِنَّ الْكَافِرَ، يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**»[(٣)].

وقد قيل في معناه: «إن من شأن المؤمن التقلل من الأكل لاشتغاله بأسباب العبادة، ولعلمه بأن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع ويمسك الرمق، ويعين على العبادة، ولخشيته أيضًا من حساب ما زاد على ذلك، والكافر بخلاف ذلك كله»[(٤)].

وروى الترمذي وصححه عن مقدام بن معد يكرب قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما ملأ آدمي شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لنفسه**»[(٥)].

فالإكثار من الأكل وإدخال الطعام على الطعام سبب لضعف الحفظ، وكثرة النسيان، وقد قيل: «البِطنة تُذهب الفِطنة»

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤١٠).
(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٧٢٣- ٧٢٤).
(٣) البخاري (٥٣٩٤)، ومسلم (٥٤٩٣).
(٤) «فتح الباري» (٩/ ٥٣٩).
(٥) الترمذي (٢٣٨٠).

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من فقه الرجل المسلم استصلاحه معيشته»[(١)].

وقال الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن راعى ما رسمت له من إصلاح الغذاء، وتنقية الطبع، وفرَّغ قلبه، لم يكد يسمع شيئًا إلا سهل عليه حفظه، إن شاء الله تعالى»[(٢)].

إضافة إلى أن كثرة الأكل من أسباب قسوة القلب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل والنوم والكلام والمخالطة»[(٣)].

وأما طيب الكسب فالمراد به أكل الحلال والتغذي به، والبعد عن الحرام، فإن كسب الحرام يُظلم القلب، ويفسد البدن والقوة والذهن، وقد ورد في التحذير من أكل الحرام أحاديث وآثار كثيرة.

٩- العمل بالمحفوظ:

العمل بما يحفظ طالب العلم من العلوم سبب لتثبيتها، وحلول البركة فيها، والزيادة منها.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»[(٤)].

وقد قيل: «من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم».

قال الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام، باستعمال آثار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١][(٥)].

(١) «جامع بيان العلم» (١/ ٧٢٤).
(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢١٤).
(٣) انظر «فوائد الفوائد» ص (٢٦٢).
(٤) «اقتضاء العلم العمل» ص (٣٦).
(٥) وانظر «جامع بيان العلم» (٢/ ١٠٣١).

وقال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به»[(١)].

وقد ورد عن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ آثارًا كثيرة في عملهم بما عملوا وحفظوا فكان ذلك سببًا لرفعتهم وزيادة علمهم[(٢)].

ومن عقوبة عدم العمل بالعلم نسيانه وعدم البركة فيه، وتأمل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

وهذا شامل للنسيان الذهني والنسيان العملي وهو الترك[(٣)].

وقد قيل:

إذا العلم لم تعمل به كان حجة عليك ... ولم تعذر بما أنت جاهله
فإن كنت قد أتيت علمًا فإنما ... يصدق قول المرء ما هو فاعله[(٤)]

١٠- بعض الأدوية والأطعمة والأشربة:

ذكر بعض أهل العلم مما يقوي الحفظ والذاكرة بعض الأطعمة والأدوية، فإليك ذكرها مع التعليق عليها.

فمنها:

أ- الحجامة:

ورد فيها حديث عند ابن ماجة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولفظه: «الْحِجَامَةُ عَلَى الرِّيقِ أَمْثَلُ وَفِيهِ شِفَاءٌ وَبَرَكَةٌ وَتَزِيدُ فِي الْعَقْلِ، وَفِي الْحِفْظِ...»[(٥)].

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢١٥).
(٢) عقد ابن عبد البر بابًا في كتابه «جامع بيان العلم» فقال: باب جامع القول في العمل بالعلم» (١/ ٦٨٨)،وكذا الآجري في «أخلاق العلماء».
(٣) انظر «تفسير ابن سعدي» ص (٢٣٦)، وكتاب «العلم» لشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص ٢٠٠.
(٤) انظر «جامع بيان العلم» (١/ ٦٩٩).
(٥) برقم (٣٤٨٧) وفي إسناده ضعيفان ومتنه منكر، ولا يصح.

وللحجامة منافع كثيرة ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وثبت في «الصحيحين» من حديث طاووس عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ وَأَعْطَى الْحَجَّامَ أَجْرَه[1].

واختلف في الحجامة في نقرة القفا، فكرهها بعضهم، لحديث ورد في ذلك، قال ابن القيم: ورد عليه آخرون، وقالوا: الحديث لا يثبت، وإن ثبت فالحجامة إنما تضعف الدماغ إذا استعملت لغير ضرورة، فأما إذا استعملت لغلبة الدم عليه، فإنها نافعة له طبًا وشرعًا، فقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه احتجم في عدة أماكن من قفاه بحسب ما اقتضاه الحال في ذلك، واحتجم في غير القفا بحسب ما دعت إليه حاجته. اهـ[2].

قلت: الحجامة نافعة للتداوي إما لغلبة الدم، أو لوجود داء آخر ولذا بوَّب البخاري في «صحيحه» فقال: باب الحجامة من الداء.

وذكر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائد حديث الباب – وهو حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري- قال: «وقد اشتمل هذا الحديث على مشروعية الحجامة والترغيب في المداواة بها ولا سيما لمن احتاج إليها»[3] اهـ.

وبناءً عليه فإن كون الحجامة مفيدة للحفظ ومقوية للذاكرة فيه نظر، لاسيما وقد قيل: إن من اعتاد عليها فإنه لا يصبر عنها ومن فعلها في عام فلابد له منها كل عام، والله أعلم.

(١) انظر «زاد المعاد» (٤/ ٥٣)، و«صحيح البخاري» (٢٢٧٨).
(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٧٥).
(٣) «فتح الباري» (١٠/ ١٥١).

ب- العسل:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].

وفي «صحيح البخاري» عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الشِّفَاءُ فِي ثَلاَثَةٍ شَرْبَةِ عَسَلٍ وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ وَكَيَّةِ نَارٍ وَأَنْهَى أُمَّتِي، عَنِ الْكَيِّ**»[(١)].

قال ابن جريج رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «عليك بالعسل، فإنه جيد للحفظ»[(٢)].

والعسل له فوائد متعددة ويفيد من كثير من الأمراض، لاسيما الطبيعي منه والخالي من المواد الإضافية، إذا شرب ملعقة واحدة منه على الريق مع كوب ماء فهو نافع جدًا.

ج- الزبيب. وهو العنب المجفف، وهو عنب خاص.

قال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أحب أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه نفع للحفظ»[(٣)].

د- اللُّبان:

روى الخطيب البغدادي بسنده عن عبد الله بن جعفر قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فشكا إليه النسيان، فقال: «عليك باللبان فإنه يشجع القلب، ويذهب بالنسيان»[(٤)].

(١) البخاري (٥٦٨٠).
(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٣٤٠).
(٣) انظر «الزاد» (٤/ ٣١٩).
(٤) انظر «الجامع في الحث على حفظ العلم» ص (١٣٨)، وفي الحاشية على أن لفظه عنده» عليك بألبان البقر، وأشار إلى أنها مقحمة من الناسخ.

ويذكر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن شربه مع السُّكر على الريق جيد للبول والنسيان، ويذكر عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه شكا إليه رجل النسيان، فقال: عليك بالكُنْدُر وانقعه من الليل، فإذا أصبحت فخذ منه شربة على الريق، فإنه جيد للنسيان»[(١)].

هـ - الرمان الحلو:

قال الله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

روى الخطيب البغدادي بسنده عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «عليكم بالرمان الحلو، فإنه نضوح المعدة»[(٢)].

وللرمان الحلو فوائد متعددة فهو جيد للمعدة مقو لها بما فيه من قبض لطيف، نافع للحلق والصدر والرئة، جيد للسعال، وماؤه ملين للبطن، يغذو البدن غذاءً فاضلًا يسيرًا[(٣)].

و- ماء زمزم:

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في ماء زمزم: «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**»[(٤)].

زاد الطيالسي والبيهقي رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «**وشفاء سقم**»[(٥)].

وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَاءُ زَمْزَمَ، لِمَا شُرِبَ لَهُ**»[(٦)].

---

(١) «الزاد» (٤/ ٣٨٧).
(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٣٩٤).
(٣) انظر «الزاد» (٤/ ٣١٥).
(٤) رواه مسلم (٦٥١٣).
(٥) الطيالسي (٤٥٩)، والبيهقي (٩٩٣٩).
(٦) أحمد (٣/ ٣٥٧) وابن ماجة (٣٠٦٢).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه أن من شربه لحاجة نالها، وقد جربه العلماء والصالحون لحاجات أخروية ودنيوية، فنالوها بحمد الله وفضله».

وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان إذا شرب من زمزم قال: «اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاءً من كل داء، واغسل به قلبي واملأه من حكمتك»

وقد كان كثير من العلماء يسألون الله بأدعية وحوائج مختلفة فاستجاب الله لهم.

فالإمام الشافعي لما شرب من زمزم سأل الله أن يسدده في الرمي، فصار يصيب من عشرة تسعة، ولما شربه عبد الله بن المبارك قال: «اللهمَّ إني أشربه من عطش يوم القيامة»، ولما شربه ابن خزيمة سأل الله علمًا نافعًا...

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنا شربته في بداية الطلب للعلم، وسألت الله أن يرزقني مرتبة الذهبي في حفظ الحديث، ثم قال: وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة».

وقال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما حججت شربت من ماء زمزم وسألت الله أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر»[1].

هذا ما ذكره بعض أهل العلم فيما يقوي الذاكرة وذكروا أشياء أُخر أعرضت عن ذكرها لضعفها.

والصحيح أنه لا أثر للمأكولات والمشروبات ونحوها في تقوية الذاكرة والحفظ من عدمها، وأن ذلك كله موهبة من المولى عَزَّوَجَلَّ يمكن تنميتها وتقويتها بالأمور السابقة وغيرها.

(١) انظر «ماء زمزم معجزات وأسرار» لأحمد بادويلان ص (٣١).

وأما ما ورد عن بعض السلف من تقوية الذاكرة والحفظ بمثل هذه الأدوية أو المأكولات أو المشروبات أو غيرها، فإنها قضايا أعيان، وقعت لبعضهم، وجرَّبها فوجد أنها تقوي الحافظة.

فقال: «إنها تعين على تقوية الحفظ»

فالمعوَّل عليه إذًا هو بعد توفيق الله والاستعانة به ما ذكرته في أول المبحث، والله الموفق والمعين.

الركيزة الخامسة

الفـــهـــم

الفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مهم جدًا، وهو خيرٌ من كثير من الحفظ، وهو الذي يمكِّن طالب العالم من النبوغ والبلوغ إذ مجرد الحفظ بلا فهم ليس له كبير فائدة سوى إضافة مجلدات وكتب ومصنفات إلى الموجود.

وقد روي عن الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ أنه قال: «معرفة الحديث والفقه فيه أحب إليَّ من حفظه»

أي معرفته بالتمييز بين صحيحه وسقيمه، والفقه فيه أي: معرفة مراد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتنزيله على المسائل الأصولية، والفروعية وهذا هو الفهم[1].

وقال علي بن المديني رَحِمَهُٱللَّهُ: «التفقه في معاني الحديث نصف العلم ومعرفة الرجال نصف العلم»[2].

وبوَّب البخاري في «صحيحه»: «باب الفهم في العلم».

قال ابن حجر: «فالفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل» اهـ[3].

(١) انظر «فتاوى شيخ الإسلام» (١٢/ ٨١).
(٢) «مقدمة تهذيب الكمال» (١/ ١٦٥).
(٣) «الفتح» (١/ ١٦٥).

وقد قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة هي: العلوم النافعة والمعارف الصائبة، والعقول المسددة والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا وأجلّ الهبات[١].

فالحرص على الفهم وتوطين النفس عليه مع الجد والاجتهاد، وسؤال الله إياه مع سؤال التوفيق والسداد من مهمات طالب العلم.

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي إمعان النظر في الآثار والسنن، والتفتيش عن معانيها، والفكر في غوامضها، واستنباط ما خفي منها، فمن فعل ذلك كان جديرًا بلحاق من سبقه من العلماء، والتبريز على المعاصرين له من الفقهاء» اهـ[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى»[٣].

(١) انظر «تفسير ابن سعدي» ص (١١٧).
(٢) «الفقيه والمتفقه» (١/ ٥٤٩).
(٣) إعلام الموقعين» (١/ ٨٧).

ويحصل الفهم:

- **بالإكثار من سؤال اللّه عَزَّوَجَلَّ إياه.**

- **وتمرين الذهن على الاستحضار والفهم.**

- **وتقليل المحفوظ قدر المستطاع حتى يتم فهمه.**

- **قلة الانشغال بالأمور الحسية الدنيوية**، لأن مشغول الذهن بأمور الدنيا قل أن يحصل له الفهم والاستنباط لأنه مشغول بدنياه.

والله الموفق.

الركيزة السادسة
أخلاق طالب العلم

أولًا: الوقار والسكينة والخشية.

الوقار: في الظاهر والمراد في حركاته وسكناته ومشيه، يظهر على مشيه أثر العلم، يقتفي هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، فلا التفات ولا عبث ولا قفز، ولا حركات مخلة بالمروءة ونحوها.

وإذا سكت يظهر على سكوته سمت أهل العلم.

والسكينة: في الباطن فلديه خضوع وخشوع وإنابة.

والخشية: هي الخوف المقرون بعلم، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وإنما كان العلماء هم أهل خشية الله لأنهم أعرف به من سائر الناس، وكل من كان بالله أعرف كان منه أخوف.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار»[1].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وصلاته وزهده»

(١) «تذكرة السامع» ص (٨٦).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن حقًا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعًا لآثار من مضى قبله»[1].

فمن الوقار: قلة الضحك، والاكتفاء بالتبسم.

قالت عَائِشَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ»[2].

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «تعلموا العلم، فإذا تعلمتموه فاكظموا عليه، ولا تخلطوه بضحك ولا لعب فتمجه القلوب، فإن العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة»[3].

قال علي بن الحسين زين العابدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من ضحك ضحكة مج مجة من العلم» .

وقال هشام الدستوائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عجبت للعالم كيف يضحك»

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في ترجمة يحيى بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن نقل قول محمد بن النعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه –: «لم أر أعبد من يحيى بن حماد، وأظنه لم يضحك»

قال: قلت: الضحك اليسير، والتبسم أفضل، وعدم ذلك من مشايخ العلم على قسمين :

أحدهما: يكون فاضلًا لمن تركه أدبًا وخوفًا من الله، وحزنًا على نفسه المسكينة.

والثاني: مذموم لمن فعله حمقًا، وكبرًا، وتصنعًا.

كما أن من أكثر الضحك استخف به، ولا ريب أن الضحك في الشباب أخف منه وأعذر منه في الشيوخ.

(١) «جامع بيان العلم» (١/ ٥٤٤).
(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٤٨٢٨)، ومسلم (٢١٢٣).
(٣) «جامع بيان العلم» (١/ ٥٦٠).

وأما التبسم، وطلاقة الوجه، فأرفع من ذلك كله.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**».

وقال جرير: ما رآني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا تبسم[1].

فهذا هو خلق الإسلام، فأعلى المقامات من كان بكاءً بالليل، بسامًا بالنهار.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه**».

بقي هنا شيء ينبغي لمن كان ضحوكًا بسامًا أن يقصر من ذلك، ويلوم نفسه حتى لا تمجه الأنفس، وينبغي لمن كان عبوسًا منقبضًا أن يتبسم، ويحسن خلقه، ويمقت نفسه على رداءة خلقه، وكل انحراف عن الاعتدال فمذموم، ولا بد للنفس من مجاهدة وتأديب[2].

ومن الوقار المشي هونًا بسكينة وعدم التفات.

وهي مشية عباد الرحمن، كما وصفهم الله بها في كتابه فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال غير واحد من السلف: «أي بسكينة ووقار من غير تكبُّر، ولا تماوت، وهي مشية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه مع هذه المشية كان كأنما ينحط من صبب، من غير التفات».

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتبعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرج لحاجته فكان لا يلتفت»... الحديث أخرجه البخاري[3].

قال ابن عبد القوي في منظومته:

ويكره في المشي المطيطا ونحوها مظنة كبر غير في حرب جُحَّد

قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما كرهت هذه المشية لأنها مظنة الكبر أو لئلا يظن به كبر».

(١) (١٠/ ١٤١).
(٢) «غذاء الألباب» (٢/ ٣٤٦).
(٣) انظر «جامع بيان العلم» (١/ ٥٠٦).

ثانيًا: الحلم والأناة

في «صحيح مسلم» عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»[1].

ورواه أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ من وجه آخر: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا»، قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ[2].

ورواه أحمد وأبو يعلى من طريق يونس بن عبيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن الأشج بن عبد القيس...وفيه: أقديمًا كان فيَّ أم حديثًا؟ قال: «بل قديما» قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما[3].

فالحلم: هو العقل.

والأناة: التثبت وعدم العجلة.

فعلى طالب العلم أن يتحلى بهذين الخلقين، التعقل والتثبت في الأمور وعدم العجلة، فلا يتعجل في فعل أموره الخاصة، ولا ينقل كلامًا إلا بعد التأكد من صحة نسبته إلى قائله، وليحذر من «يقولون» فإنها مطية الشيطان.

قال عطاء بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أوتي شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم»[4].

(١) مسلم (١٢٧).

(٢) «سنن أبي داود» (٥٢٢٥) وفي إسناده أم أبان بنت الوازع بن زارع لا تعرف بجرح ولا تعديل، قال الذهبي في «الميزان»: «مجهولة تفرد بالرواية عنها مطر بن عبد الرحمن الأعنق، ولم يوثقها أحد»، فإسناده ضعيف.

(٣) رواه أحمد (١٧٨٢٨)، وانظر تمام تخريجه فيه.

(٤) رواه أبو خيثمة في «العلم» رقم(٨١) وإسناده صحيح.

وعن رجاء بن حيوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ما أحسن الإسلام ويزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان ويزينه التقوى، وما أحسن التقوى ويزينها العلم، وما أحسن العلم ويزينه الحلم، وما أحسن الحلم ويزينه الرفق»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار فإنها كسوة علمه وجماله، وإذا فقدها كان علمه كالبدن العاري من اللباس»

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والناس ههنا أربعة أقسام فخيارهم من أوتي الحلم والعلم، وشرارهم من عدمهما، الثالث من أوتي علمًا بلا حلم، الرابع عكسه، فالحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله وضده الطيش والعجلة، والحدة والتسرع وعدم الثبات، فالحليم لا يستفزه البدوات ولا يستخفه الذين لا يعلمون، ولا يقلقه أهل الطيش والخفة والجهل، بل هو وقور ثابت ذو أناة، يملك نفسه عند ورود أوائل الأمور عليه، ولا تملكه أوائلها، وملاحظته للعواقب تمنعه من أن تستخفه دواعي الغضب والشهوة، فبالعلم تنكشف له مواقع الخير والشر، والصلاح والفساد، وبالحلم يتمكن من تثبيت نفسه عند الخير، فيؤثره ويصبر عليه وعند الشر فيصبر عنه، فالعلم يعرفه رشده، والحلم يثبته عليه». اهـ[2].

وقد قيل:

العلم والحلم حلتا كرم ... للمرء إذا هما اجتمعا
كم من وضيع سما به العلم والحلم ... فنال السمو وارتفعا
صنوان لا يستقيم حسنها ... إلا بجمع لذا وذاك معا
كل رفيع البنا أضاعهما ... أخمله ما أضاع فاتضعا[3]

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٠٦) رقم (٨٠٩).
(٢) إعلام الموقعين (٤/ ٢٠٠).
(٣) «جامع بيان العلم» (١/ ٥٠٧).

ثالثاً: الزهد والورع.

الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة.

والورع: ترك ما يخاف ضرره في الآخرة[1].

والزهد أقسام: زهد في الحرام، وهو فرض عين.

۞وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كانت مستحبًا.

۞وزهد في الفضول.

۞وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره.

۞وزهد في الناس، وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله.

۞وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغله عنه.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الزهد على ثلاثة أوجه الأول ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث هو ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين[2].

وأما الورع فيجمعه قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المرسل: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، فهذا يعم الترك مما لا يعنيه من الكلام والنظر والاستماع والبطش والمشي والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة[3].

ولذا فطالب العلم لا بد أن يكون له نصيب وافر من الورع وجانب قوي من الزهد.

(١) تعريف شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ «مدارج السالكين» (٢/ ١٣).
(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٢.
(٣) انظر مدارج السالكين ٢/ ٢١.

قال الزرنوجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكلما كان طالب العلم أورع كان علمه انفع، والتعليم له أيسر وفوائده أكثر»[1].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفقيه الورع الزاهد الذي لا يسخر ممن أسفل منه ولا يهمز من فوقه ولا يأخذ على علم علمه الله حطاما»[2].

ومن صور الورع التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها:

- اجتناب مجالسة أهل الفساد والمعاصي، ومجاورة الصالحين والمتقين:

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحزيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه رائحة طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة كريهة**»

ومنها: اجتناب المشتبهات من المأكولات والمشروبات وغيرها لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فمن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**».

ومنها: عدم التسرع في الفتيا، قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا فعل أهل الورع والمشفقين على دينهم ولأجل ما ذكرناه كان خلق من الصحابة والتابعين إذا سأل أحدهم عن حكم حادثه حار عن الجواب وأحال على غيره، ثم نقل بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت مائه وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول[3].

(١) تعليم المتعلم طريق المتعلم ص (١٢٦).
(٢) أخلاق العلماء «للآجري» ص ٦٧.
(٣) الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٣.

رابعاً: الصدق

الصدق هو شعار المتقين، كما أن الكذب شعار المنافقين، والصدق طمأنينة، والكذب ريبة، فالصادق مطمئن البال منشرح الصدر، والكاذب في قلق وضيق، فملازمة طالب العلم الصدق في أقواله وأفعاله مع زملائه وأقرانه دليل على فلاحه ونجاحه، تأمل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِيْ إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِيْ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِيْ إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِيْ إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(٤).

خامساً: حفظ اللسان.

قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ»(٥).

وقد قيل: لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده، فلم يبق إلا صورة اللحم والدم.

حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والسب والشتم، وبذيء الكلام، والكلام فيما لا يعني وقيل وقال، ونقل الأخبار من غير تثبت، لازم لطالب العلم إذ ثمرة علمه حفظ لسانه.

ومن أطلق للسانه العنان قل توفيقه، وكثرت أخطاؤه، وأغلوطاته، وذمه زملاؤه وجلساؤه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البخاري (٨٠١٦)، ومسلم (١٨٢).

قال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خصلتان إذا رأيتهما في الرجل فاعلم أن ما وراءها خير منهما، إذا كان حابسًا للسانه، يحافظ على صلاته»[1].

وعن بكر بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «إذا رأيت الرجل موكلًا لعيوب الناس، ناسيًا لعيبه فاعلموا أنه قد مكر به»[2].

وكان سلف الأمة وأئمتها يجتهدون في محاسبة أنفسهم على حفظ ألسنتهم، قال عبد الله بن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نذرت أني كلما اغتبت إنسانًا أصوم يومًا، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنسانًا تصدقت بدرهم، فمن حبي للدراهم تركت الغيبة»

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا: قلت: «هكذا والله كان العلماء وهذا هو ثمرة العلم النافع»[3].

وقال عبد الله بن أبي زكريا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عالجت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة، قلَّ أن أقدر منه على ما أريد»[4].

سادساً: حفظ مساوئ الأئمة

ربما وقع بين بعض العلماء كلام لا ينبغي نقله وهو من كلام الأقران الذي قيل فيه: إنه يطوى ولا يروى، فمثل هذا لا ينبغي نشره ولا نقله، ولا إشغال الوقت بالبحث عنه ولا عن أسبابه.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبئ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة، أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصادقين، وإن شئت لسردت لذلك قراطيس، ربنا لا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا إنك رؤوف رحيم»[5].

(١) «الصمت» لابن أبي الدنيا ص (٥٦٤).
(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٤٩).
(٣) «السير» (٩/ ٢٢٨).
(٤) «الصمت» ص (٥٥).
(٥) «ميزان الاعتدال» (١/ ١١١).

ولذا فلزامًا على طالب العلم الإعراض عن نقل كلام الأئمة بعضهم في بعض.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن لم يحفظ من أخبارهم إلا ما نزر من بعضهم في بعض على الحسد والهفوات والغضب والشهوات دون أن يُعنى بفضائلهم، ويروي مناقبهم، حرم التوفيق، ودخل في الغيبة، وحاد عن الطريق جعلنا الله وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه»[1].

سابعاً: حسن الخلق.

تكاثرت النصوص من الكتاب والسنة الحاثة على حسن الخلق، المثنية على أصحابه، وذلك لما اشتمل عليه من الخلق الجميل، وما يترتب عليه من المنافع والمصالح العامة والخاصة.

وقد عُرّف حسن الخلق بأنه: بذل الندى وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

وفي «صحيح مسلم» عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ فَقَالَ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»[2].

وروي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين تقوى الله وحُسن الخُلُق؛ لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه، وحُسن الخُلُق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله وحُسن الخُلُق يدعو الناس إلى محبته»[4].

(١) «جامع بيان العلم» (٢/ ١١٨).
(٢) رواه مسلم (٦٦٨٠).
(٣) رواه الترمذي (١٩٨٧)، وفي سنده ضعف.
(٤) «الفوائد» كما في ترتيبه ص (٢١٠).

ولُحسن الخُلُق فوائد جليلة.

فمن أجل فوائده: امتثال أمر الله وأمر رسوله، والاقتداء بخُلُقِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العظيم.

ومنها: أنه يحبب صاحبه للقريب والبعيد، ويجعل العدو صديقًا، والبعيد قريبًا.

وبه يتمكن الداعي إلى الله والعلم للخير من دعوته، ويجمع الخلق إليه بقلوب راغبة، وقبول واستعداد لوجود السبب وانتفاء المانع، وهو بنفسه إحسان قد يزيد على الإحسان المالي.

وبه يتمكن من معرفة العلوم التي سعى لإدراكها، والمعارف التي يفكر في تحصيلها.

وبه يتمكن المناظر والمخاصم من إبداء حجته، وفهم حجة صاحبه ويسترشد بذلك إلى الصواب قولًا وعملًا.

وبالخلق الحسن يسلم العبد من مضار العجلة والطيش لرزانته وصبره، وتجنبه ما يخشى ضرره.

وبالخلق الحسن يتمكن من الوفاء بالحقوق الواجبة والمستحبة للأهل والأولاد والأقارب والأصحاب والجيران والمعاملين وسائر من بينه وبينه مخالطة أو حق.

وصاحب الخلق الحسن يسلم غالبًا من الانتصار لنفسه، والتعصب لقوله، لأن الانتصار للنفس والتعصب يحمل على الاعتساف، وعدم الإنصاف.

ثم إن صاحب الخلق الحسن في راحة حاضرة ونعيم عاجل، فإن قلبه مطمئن ونفسه ساكنة، وهذه مادة الراحة العاجلة، وطيب العيش[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحُسن الخُلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر والعفة والشجاعة والعدل.

(١) «بتصرف من كلام العلامة الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ»، انظر «المعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين» ص (٦١).

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته»[(١)].

ثامناً: المحافظة على السنن والآداب.

المحافظة على السنن والآداب الشرعية هي ثمرة العلم، ودليل على ظهور بركته على صاحبه.

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق القوام، باستعمال آثار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثم ذكر قصة أبي عصمة عاصم بن عصام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان، فقال: «سبحان الله رجل يطلب العلم لا يكون له ورد من الليل»[(٢)].

المحافظة على السنن يكون بتطبيقها واستحضار متابعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أدائها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وكذا الآداب المحافظة عليها تكون بحفظها وتطبيقها.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٠٨).
(٢) «الجامع» (١/ ٢١٥-٢١٦).

والآداب جمع أدب، وهو استعمال ما يحمد قولًا وفعلًا، وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: هو الوقوف مع المستحسنات[1].

قلت: وهو يشمل هذا كله فهو: حسن المعاملة والخلق مع الله ومع عباد الله.

وقد ألف في الآداب مؤلفات مستقلة من أجمعها كتاب «الآداب الشرعية» لابن مفلح.

و«منظومة الآداب» لابن عبد القوي مع شرحها «غذاء الألباب» للسفاريني، إضافة إلى كتب الآداب ضمن كتب السنة المتفرقة، «كصحيح البخاري»، و«سنن أبي داود» وغيرهما.

بالإضافة إلى كتب الأدب لطالب العلم خاصة.

قال الزرنوجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي لطالب العلم أن لا يتهاون بالآداب والسنن، ومن تهاون بالأدب حُرم السنن، ومن تهاون بالسنن حُرم الفرائض، ومن تهاون بالفرائض حُرم الآخرة[2].

تاسعاً: ملازمة الذكر والاستغفار.

الذكر حياة القلوب، وهو الصلة بين العبد وبين ربه علام الغيوب.

وفي الذكر فوائد متعددة سرد أكثرها ابن القيم في «الوابل الصيب»، قال: ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلًا وشرفًا وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»[3].

والذكر مطلق ومقيد، فالمطلق يكون في كل وقت وعلى كل حال، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

(١) انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٤٠٠).
(٢) «تعليم المتعلم» ص (١٢٨).
(٣) «الوابل الصيب» ص (٩٤- ٩٥).

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله على كل أحيانه».

فهو تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد.

«سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»

«سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»

«سبحان الله وبحمده» مائة مرة.

والمقيد ورد في السنة ما يدل عليه كأدبار الصلوات المكتوبة، وعند الصباح والمساء، والأذكار المصاحبة للعبد في شؤون حياته، وعند الهم بالوقوع في الذنب، وبعد الوقوع فيه.

فيحسن بطالب العلم أن يلازم الذكر، وأن يحيي قلبه وينوره به، إذ من الحرمان أن يغفل طالب العلم عن الذكر وملازمته مع ما فيه من فوائد وثمرات عاجلة وآجلة، وفيه الغنى عن ذكر الناس والانشغال بعيوبهم.

قال عبد الله بن عون رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء»

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا: «إي والله، فالعجيب منَّا ومن جهلنا كيف ندع الدواء ونقتحم الداء؟ قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله، ومن أدمن الدعاء، ولازم قرع الباب فتح له»[1].

وأما الاستغفار، ففوائده وثمراته لا تخفى، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠- ١٢].

(١) «السير» (٦/ ٣٦٩).

ففي الاستغفار مغفرة الذنوب والأوزار، وحصول الخيرات، ونزول البركات، وتكثير الأموال والأولاد.

ولك أيها الطالب في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة، ففي «صحيح البخاري» عن أبي هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[1].

وروى مسلم عَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[2].

فحري بك ملازمة الاستغفار والإكثار منه على كل حال لاسيما لفظ «استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه»، فإن له أثرًا عجيبًا في إزالة الشدائد والنكبات.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا أشكلت عليه مسألة أو أغلق عليه فيها استغفر الله تعالى ففتح الله تعالى له.

وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ فقال له: أشكو إليك قسوة قلبي، قال: «ألنه بذكر الله وكثرة الاستغفار».

(١) رواه البخاري (٦٣٠٧).
(٢) رواه مسلم (٧٠٣٣).

الركيزة السابعة
أدب السؤال

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الحث على السؤال

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة...»[(١)].

قيل لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: بم حصلت على هذا العلم؟ قال: بقلب عقول، ولسان سؤول، وبدن غير ملول».

وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من علم فليعمل، ومن لم يعلم فليسأل العلماء، ألا إن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف»[(٢)].

(١) «تفسير ابن سعدي» ص (٥٠٥).
(٢) «جامع بيان العلم» (١/ ٣٧٩).

وقال ابن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم خزائن ومفاتيحها السؤال»[1].

فحري بطالب العلم أن يحرص على السؤال عما أشكل عليه، وعما لم يدركه فهمه.

المبحث الثاني: أن يكون سؤاله حسناً ينبئ عن إشكال أو يدل على غامض بأدب واحترام.

وقد روي: «حسن السؤال نصف العلم»

روى الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان إذا جاءه الإنسان يسأله فخلَّط عليه، قال: «اذهب فتعلم كيف تسأل، فإذا تعلمت فسل»[2].

وقال ابن المنير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فوائد حديث جبريل» في الإسلام والإيمان والإحسان: في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يعلمكم دينكم» دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علمًا وتعليمًا[3].

المبحث الثالث: أن يقدم بين يدي سؤاله ما ينبئ عن احترامه لشيخه .

كأن يقول: أحسن الله إليك، أو أثابك الله، أو جزاك الله خيرًا، أو نفع الله بعلمك، أو نحو ذلك. فإن ذلك أدعى لانتفاعه بعلم الشيخ، وحلول البركة في علمه.

ومن ذلك أن لا يكثر السؤال عليه لئلا يضجره.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وينبغي أيضًا للمتعلم أن يلطف بالسؤال، ويرفق بمعلمه، ولا يسأله في حالة ضجر أو ملل أو غضب، لئلا يتصور خلاف الحق مع تشويش الذهن، وأقل الحالات أن يقع الجواب ناقصًا»[4].

(١) «المعرفة والتأريخ» (١/ ٦٣٤).
(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٦٥).
(٣) «فتح الباري» (١/ ١٢٥).
(٤) «الفتاوى السعدية» ص (١٠٢).

ومن ذلك: إذا كان السؤال عن طريق الهاتف الثابت أو الجوال أن يختار الوقت المناسب للاتصال على الشيخ، وإذا كان للشيخ وقت معين يستقبل فيه الاتصال فلا يتصل عليه في غيره، وإذا اتصل على الشيخ لاسيما عن طريق الجوال، فليستأذنه أولًا بطرح سؤاله فقد يكون الشيخ مشغولًا حال الاتصال.

ومن ذلك: أن يقتصر في اتصاله بعد السلام والدعاء للشيخ على طرح سؤاله، وليس من الأدب أن يسأل الشيخ عن أولاده وأحواله الشخصية، ووظيفته ونحو ذلك.

المبحث الرابع: عدم الحياء والتهيب من المسألة.

الحياء عن السؤال والتعلم يمنع الطالب من تحصيل العلم، وقد قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر»

وبوَّب عليه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ «باب: الحياء في العلم»

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكأنه أراد تحريض المتعلمين على ترك العجز والتكبر لما يؤثر كل منهما من النقص في التعليم»[1].

والحياء لا يأت إلا بخير وهو خيرٌ كله لكن الحياء عن طلب العلم هو من الحياء المذموم، ولذا قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» رواه مسلم.

وعن عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ اللهَّ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ»[2].

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٢٩).
(٢) رواه البخاري (١٣٠)، ومسلم (٧٣٨).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من استتر على طلب العلم بالحياء لبس للجهل سربالـه، فاقطعوا سرابيل الجهل عنكم بدفع الحياء في العلم، فإنه من رق وجهه رقَّ علمه»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في سرد آداب طالب العلم –: «ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه في سن أو نسب أو شهرة أو في علم آخر، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده، وإن كان دونه في جميع هذا، ولا يستحي من السؤال عما لم يعلم»[(٢)].

وقال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليحذر طالب العلم أن يمنعه التكبر عن الاستفادة والسماع لما ليس عنده ممن هو مثله بل ومن هو دونه فإن من كان كذلك لم تحصل له نبالة في هذا الشأن»[(٣)].

المبحث الخامس: ما ينهى عن سؤاله.

طالب العلم يسأل، عما ينفعه في أمور دينه ودنياه، عما ينفعه في زيادة علمه وفتواه.

ويبتعد عن الأسئلة المذمومة، كالسؤال على وجه التعنت والاستطلاع عما عند المسئول.

والسؤال عما لم يقع، والسؤال المتكلف.

والسؤال على وجه الكبر والاستعلاء ليظهر للمسئول أو غيره أن سؤاله وجيه أو ليمدح أمام أقرانه وزملائه..

وغيرها من المسائل المذمومة. فإن هذه الأسئلة تحرمه بركة العلم والانتفاع بشيخه.

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٨٣).
(٢) «آداب العالم والمتعلم» ص (٣١ – ٣٢).
(٣) «الغاية في شرح الهداية» (١/ ١٢٥).

الالمام بالتقنية الحديثة في عصرنا وإتقانها من المهمات لطالب العلم، بها يستفيد من البرامج المتنوعة في شتى العلوم، ويعرف كيفية التعامل معها.

واتقان هذه التقنية يختلف باختلاف قدرة الشخص وتمكنه منها.. فمن عنده الأساسيات في علوم الحاسب على سبيل المثال يستطيع تطوير نفسه وإتقان باقي علومه، ومن لم يتمكن من الأساسيات فإنه يصعب عليه تطوير نفسه بل يكتفي منه بمعرفة الأساسيات واتقانها، وكيفية الإفادة من الحاسب وغيره عن طريقها...

ومن البرامج المهمة والتي ينبغي اتقانها ومعرفة كيفية الإفادة منها: برنامج (المكتبة الشاملة) فهو مكتبة مستقلة، وإذا أتقنها طالب العلم وعرف التعامل معها أدرك خيرًا كثيرًا ووفّر عليه جهدًا كبيرًا...

وهناك شرح وافٍ لها في اليوتيوب.

وقل مثل ذلك في البرامج الحديثية المتنوعة كبرنامج (خادم الحرمين الشريفين) وبرنامج (الكتب التسعة) وغيرها كثير..

أضف إلى ذلك أنواع التطبيقات المتنوعة والمفيدة في نشر العلم والإفادة منه...

وليعلـم أن معرفـة التقنيـة ليسـت حاجـزًا عـن طلـب العلـم والتمكـن منـه وإنـما هي معينـة عليـه مسـاعدة ومسـاندة لـهأ فـلا ينبغـي أن تأخـذ مـن طالـب العلـم وقتـه كله أو أكثـره... بـل يجعـل لهـا مـن فضـول وقتـه ليـدرك أكثرها.

والله الموفق،،،

الخاتمة

الحمد لله وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه.

تمت هذه الركائز بحمد الله، وقد ذكرت آكد الآداب وأهمها.

وأوصي طلاب العلم بالعناية بمثل هذه الآداب والتحلي بها ونشرها...

وأوصيهم أيضًا... بالعناية بكتب الآداب التي صنفها الأئمة، وقد ذكرت جملة منها في المقدمة... قراءتها وتلخيصها ومدارستها بين حين وآخر.

والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا وأن يرزقنا علمًا ينفعنا إنه جواد كريم

والله أعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحتويات

مقدمة 5

الركيزة الأولى: تقوى الله عَزَّوَجَلَّ ومراقبته 7

الركيزة الثانية: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في الطلب 13

الركيزة الثالثة: العناية بالقرآن الكريم 18

أولًا: حفظه كله أو ما تيسر منه 19

ثانيًا: الإكثار من تلاوته 21

ثالثًا: تدبر معانيه 23

رابعًا: العمل به 31

الركيزة الرابعة: الحفظ 34

المبحث الأول: أهمية الحفظ 34

المبحث الثاني: العناية على وجه الخصوص بحفظ الأصول والقواعد والضوابط والتعليلات 37

المبحث الثالث: ماذا يحفظ طالب العلم 40

المبحث الرابع: ما الذي يعين على الحفظ 45

الركيزة الخامسة: الفهم 58

الركيزة السادسة: أخلاق طالب العلم 61

أولًا: الوقار والسكينة والخشية 61

ثانيًا: الحلم والإناء 64

ثالثًا: الزهد والورع 66

رابعًا: الصدق 68

خامسًا: حفظ اللسان..... 68
سادسًا: حفظ مساوئ الأئمة..... 69
سابعًا: حسن الخلق..... 70
ثامنًا: المحافظة على السنن والآداب..... 72
تاسعًا: ملازمة الذكر والاستغفار..... 73
الركيزة السابعة: أدب السؤال..... 76
المبحث الأول: الحث على السؤال..... 76
المبحث الثاني: أن يكون سؤاله حسنًا ينبئ عن إشكال أو يدل على غامض بأدب واحترام..... 77
المبحث الثالث: أن يقدم بين يدي سؤاله ما ينبئ عن احترامه لشيخه..... 77
المبحث الرابع: عدم الحياء والتهيب من المسألة..... 78
المبحث الخامس: ما ينهى عن سؤاله..... 79
الركيزة الثامنة: التقنية الحديثة..... 80
الخاتمة..... 82
المحتويات..... 83